Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التـام (الكهل). أما على مستوى السيرة الذاتية فإن ذاكرة الشاب تحيل على التأسيس والإنطلاق، وما يماثل ذلك من المحددات التي تعطي للشخصية صفة الاستقرار، أو تضعها في سياقه.

إن ذاكرة الكهولة هي التي تصل بنا إلى تحقق السيرة الذاتية، لأنها تحاذي فترة الكتابة والتأريخ للحياة الفردية معا. ومن وظائف هذه الذاكرة في النص السيرذاتي أنها تسترجع الذاكرتين السابقتين ، وتُعنى، في نفس الوقت، بتنظيم محكييهما الذاتي كما تطورا في الزمن والمكان. كما يمكن أن نضيف إلى ذلك أن ذاكرة الكهولة تستجمع السيرورة كلها (من الطفولة إلى الكهولة) من زاوية تنسيق أحداثها وسبكها في قالب لغوي حكائي، به تغدو مدركة كسيرورة ماضوية.

إن ذاكرة الكهولة، بعبارة أخرى، هي جماع الهوية الشخصية. ومن هنا أيضا يمكن أن نعتبر كتابة السيرة الذاتية في سن الأربعين، فاصلا بين الحياة والموت. فالسيرة الذاتية تنهي بهذه السن مرحلة كاملة من الوجود، ورغم أن الشخصية الواقعية قد لا تغادرنا إلا بعد هذه المرحلة، فإنها تعلن بهذه الكتابة عن اكتمال الدورة الحياتية. وقد لاحظنا كيف استهل المختار السوسي سيرته الذاتية بالأدعية والابتهالات، تقربا إلى الله وطلبا لمغفره، وشوقا إلى الرحمة المنتظرة في (دار البقاء).

الذاكرة والنسيان - يقول المختار السوسي: «هذه ذكريات عن أول التمييز، وقد كنت من ذلك الوقت إلى الآن منخرم الذاكرة لا أستحضر مما مر بي إلا قليلا» (ص215)، ونجده يروي في حقه على لسان أحد معارفة (ابن عثمان المراكشي) حين يقول له: «لو كانت لك ذاكرة، لكنت عالما كبيرا» (ص215). ولو تتبعنا ما يتصل بهذا الموضوع في السيرة الذاتية لوجدنا أيضا: «وذكرياتي عن هذه الحقبة ضئيلة، ولم أستفد ما عندي منها إلا من الأخ أحمد صاحب الذاكرة الغريبة» (ص216)، ونجده يقول عن التحصيل: «والحقيقة أنني لا أكون دائما في الرعيل الأول في كل مدرسة لأني سريع النسيان» (ص 218).

فإذا أخذنا هذه الملفوظات من زاوية الاعتبار بآفة الشخصية (انخرام الذاكرة، النسيان..)، لوجدنا فيها ما يخبرنا عن ثلاثة جوانب: جانب الذات في علاقتها بحقبة التذكر (الماضي)، والمعادل الذي يركز هذه الحالة هو الانخرام، بمعنى الذهاب والانقضاء، وجانب الذات في علاقتها بالعلم (الرتبة)، الذي يبرز من خلال الاستحالة، وجانب الذات في علاقتها بالتحصيل (المعرفة)، ويرمز إليه النسيان. في حين يمكن تأويل النص السيرذاتي، في ارتباط بتلك الجوانب، على أساس الإنجاز والتحقق، بصورة مختلفة تماما. فإذا كانت السيرة الذاتية التي كتبها المختار السوسي هي هذه